اسم المادة: اسم الله الجبار

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله الجبار
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151863.htm

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شَعَثَ القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة، للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض. فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مرحباً بكم أيها السادة المتابعون.
أسماء الله الحسنى كثيرةٌ عديدةٌ تتفرق في معانيها وأوصافها ودلالاتها. وتجتمع في أمر عظيم هو تعظيم الله –جل جلاله–.
أسماء الله طريقنا إلى معرفتنا بربنا الكريم الجليل العظيم –جل في علاه–. من الأسماء الفريدة المنفردة في القرآن الكريم، وأقصد بها ما جاء ورودها في القرآن مرةً لا غير، ليس هذا دلالةً على ضعف معناها وحاشا، ولا على انحسار دلالاتها وحاشا، ولكنه العجيب في أسماء الله –تعالى– والعظمة التي تتعدد أنحائها.

اسم ربنا الكريم –سبحانه وتعالى– الجبار، والذي جاء في سياق سرد الأسماء الحسنى المتتابعة في أواخر سورة الحشر، "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" الحشر:٢٣
اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الجبار، صحيحٌ أنه لم يأتِ إلا مرةً في القرآن، لكن معانيه الثابتة في السنة والتي دلت عليها النصوص الأخرى في أفعالٍ منسوبةٍ إلى ربنا تثبت معنى الجبروت لله.
في أول الأمر وفي بادئ النظر، ربما انصرف إلى الأذهان مَعْنًى يتبادر كثيرًا عند المسلمين، إذا ما سمع أو نطق أحدهم اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الجبار، وأقصد به المعنى الذي تبادر إلى أذهانكم الآن معنى القوة والقهر والغلبة، فالله جبار السماوات والأرض، وهذا أحد معانٍ ثلاثة يحملها هذا الاسم الكريم لله –جل جلاله–.
وهو يوازي في معناه معنى اسم ربنا –سبحانه– القاهر والقهار، "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ" الأنعام:١٨، جبارٌ –سبحانه وتعالى– يقسم ظهور الجبابرة، ولا يرضى –عز وجل– أن ينازعه أحد في جبروته وكبريائه وعلبائه، لأنه –سبحانه– المتفرد بهذه العظمة وذلك الجبروت، وفي ركوع النبي –صلى الله عليه وسلم– ثبت تعظيمه لربه بهذا الوصف وهو يقول: "سبحان ذي الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ"[1]

[1] صححه الألباني

هذا المعنى المتبادر الذي ينصرف إليه الذهن كثيرًا في اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الجبار، هو مَعْنَى صحيح، وهو يدل على معاني القوة والقهر والغلبة التي يتصف بها ربنا العزيز الخالق الواحد القهار.

إلا أن مَعْنَىً ثانيًا يحتمله هذا الاسم الكريم، وهو معنى العلو ورفعة الشأن، والتعالي على خلقه أجمعين، وربنا –سبحانه وتعالى– جبارٌ بهذا المعنى. وهو يأتي في سياق معنى الاسمين الكريمين العلي والأعلى، فالله جبارٌ بهذا المعنى في العلو والقهر للخلق، وهو –سبحانه وتعالى– يدل بهذا المعنى على استيلائه على خلقه، وسطوة أمره ونفوذ حكمه فيهم –سبحانه وتعالى–.

جاء في أواخر سورة ق خطاب الله للنبي –صلى الله عليه وسلم– نافيًا عنه هذا الوصف بقوله: "وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" ق:٤٥، قيل معناه لست يا محمد على أمتك في دعوتك وتبليغهم رسالة الإسلام والدعوة إلى توحيد الله، لست مجبرًا لهم على الهدى ولست مكلفًا بذلك، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– إنما كان عليه البلاغ، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، هذا بمعنى القهر. ويمكن أن يحمل معنى العلو، فقد نفى الله –تعالى– عنه كبرياءه وتعاليه وتكبره –صلى الله عليه وسلم– على قومه وأمته إذ دعاهم إلى رسالة التوحيد.

وَمَعْنىً ثالث أيها الكرام نتلمسه في جوف اسم الكريم الجبار –سبحانه وتعالى–، ألا وهو معنى إصلاح الحال، وجبر القلوب الكثيرة والأحوال الضعيفة، فالله يجبر القلوب المنكسرة، والله يجبر العبد إذا عثَر في طريقه، ويجبر المذنب إذا أخطأ، ويجبر –سبحانه وتعالى– زلة التائب النادم، المقبل إليه مستعتبًا مستغفرًا يتلمس رحمة الله، هو المعنى الذي ندعو به في الجلسة بين السجدتين، فيما علمناه نبي الهدى والرحمة –صلى الله عليه وسلم– إذ نقول: "اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني واهدِني واجبُرني وعافِني وارزُقني"[٢].

من يجبر القلوب الكسيرة إلا الله؟!، ومن يجبر العبد الضعيف ذي الزلة والندم والتوبة إلا الله؟!، فالله جابر القلوب ولو أردتها بصيغة مبالغةٍ فهو الجبار –سبحانه وتعالى–.

يا كرام؛ ربنا جبار، ولجبروته خضع الخلق وذلت الرقاب، ويأبى –سبحانه– أن ينازعه في هذا الوصف العظيم أحدٌ من خلقه، لأن الخلق كلهم لو اجتمعوا في قوتهم وملكوتهم وتكبرهم وتجبرهم، فهم أحقر عند الله من أن يتصفوا بأمر استفرد الله –عز وجل– به، واختص به –جل جلاله– ولهذا فإن المتكبرين والمتجبرين قومٌ من الخلق حقيرٌ شأنهم عند الله.

يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، وخاب كل جبارٍ عنيد، يوم القيامة أولئك –والعياذ بالله– أهل نارٍ، إنما تنصهر قلوبهم المتجبرة بنارٍ تلظَّى، والله –عز وجل– يأبى أن يتصف الخلق بالجبروت فيكون منهم ظلمٌ وعدوان، لكن جبروت الله –عز وجل– حقٌّ، وهو جبروت الخالق الرازق الذي تصمد إليه الخلائق وتحتاج إليه في شأنها كله.

الله –عز وجل– جبار، فيا كل مهمومٍ ومغمومٍ عندما ينكسر قلبه وتجرح مشاعره، عليك بربٍّ جبارٍ، يجبر القلب الكسير والفؤاد الحزين، فالتمس منه –سبحانه وتعالى– رحمةً وفضلًا وجبرًا لحالك.

كذلك الشأن في مصابٍ ينزل بالعبد، فتذهب من يديه بعض دنياه، وإذا به يشعر أنه قد عاد إلى الوراء خطواتٍ وخطوات، لا تأسى وربك الجبار. إن جبر القلوب عند رب الأرباب، فهو يرأب صدعها، ويبرأ على يده جرحها. ويذهب بفضله ورحمته ألمها، وسقمها، عليك بربٍّ جبار.

[٢] الكلم الطيب للألباني

إذا ما شعرت أنَّ ظلم جبابرة البشر قد أحاط بك، فربك الجبار جابر القلوب المنكسرة، وقاسم ظهور الجبابرة.

ما زال هذا الاسم الكريم، يلقي بظلاله على قلوب العباد، فإذا بها تفيء في ظلالها إلى ربٍّ في عظمته وكبريائه، وفي رأفته ورحمته ولطفه في جبر قلوب عباده وإصلاح حالهم ما يجعلهم عبادًا أكثر اعتزازًا بربهم والتجاءً إليه وهو أثرٌ حميدٌ مراد من آثار أسماء الله الحسنى بلغَّنا الله وإياكم أسمى مراتبها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.